مبدأ الاتفاق συνθήκη في اللغة عند أرسطو

ولاء توفيق فرح

كلية الآداب – جامعة القاهرة

تحت إشراف:

أ.د. محمد حمدى إبراهيم

كلية الآداب – جامعة القاهرة

يقدم أرسطو تعريفا كلاسيا للماهية الإنسانية مؤداه أن الإنسان كائن حي يمتلك اللوجوس λογος ، والإنسان "حيوان عقلاني"، أي "كائن حي يمتلك العقل"، حيث يتميز الإنسان عن الحيوانات الأخرى بقدرته على التفكير. لكن هذا المصطلح، أي "اللوجوس" ، يعني في الحقيقة على وجه الدقة اللغة. فالحيوانات تمتلك القدرة على التفاهم فيما بينها من خلال قدرتها على الكشف لبعضها البعض عما يثير رغبتها وقدرتها على تحقيق هذه الرغبة، كما تملك القدرة على تحديد ما يضرها ويمكنها من اجتناب هذا الضرر، فهكذا شكلتها الطبيعة. وعلى هذا الأساس، فإن الإنسان هو الكائن الوحيد الذي تتوفر له هذه القدرة على "اللوجوس"، الذي يمكنه من فهم ما هو مفيد وما هو ضار، وبالتالي ما هو عادل وما هو ظالم. وهذه العبارات محملة بالكثير من الدلالات، حيث إن الإنسان يتميز بأنه قادر على الفصل بين الحاضر والحس المستقبلي. ويضيف أرسطو في الاتجاه ذاته أن تفرد الإنسان ب "اللوجوس" يمكنه من امتلاك معنى العدل والظلم، وأن الإنسان قادر على التفكير وقادر على الكلام، والقدرة على الكلام تعني القدرة على إظهار ما هو غائب عبر الكلام، بشكل يستطيع شخص آخر أن يستحضره؛ وهكذا فإن بوسع الإنسان إيصال كل ما يفكر فيه . يقول أرسطو في عمله Πολιτικά =السياسة" إن الإنسان مثل النحل والحيوانات يجب أن يعيش في جماعات، غير أن الإنسان على خلاف هذه المخلوقات، إذ أن لدية القدرة على الكلام، أي اللوجوس λογος ، الذي يعني الكلام والعقل في آن، أي أن الإنسان يحظي بالرشد والمنطق. وترتبط هذه الكلمة بالفعل λεγω بمعني "يتحدث"، وقد أصبح المفهوم المتعارف عليه أن الإنسان حيوان عاقل، الأمر الذي يوضح الارتباط المنطقي بين اللغة والعقل. فالغرض من الكلام الذي تمت نسبته إلى الإنسان بالطبيعة

هو تمييزه واكتشافه لماهو مفيد وماهو ضار، وما هو جيد وماهو سيء، وما هو عادل وما هو ظالم؛ وهذه المعرفة هي التي جعلت الإنسان يعيش في جماعات ويتبع العدالة. والحيوانات الأخرى تعيش أيضاً في مجموعات، لكنها غير قادرة على الكلام ولا على تعقل الأمور ومنطقتها، كما أنها ليست بحاجة إلي هذه القدرة، حيث إنها ليست بحاجة إلى تمييز العدالة، في حين أن الإنسان لا يستطيع أن يعيش بدون ذلك. هذه الأمور وأمثالهاهي التي تمكن الإنسان من العيش في جماعات من أجل حياة فاضلة طبقاً للقوانين التي تسمح للمجتمع بالاستمرار والتطور (Berns 1976,p177) (Aristotle, Π ο λ ι τ ι κ ά1253a8-19).

ولقد أكد أرسطو ضرورة أن يدل الصوت على فكرة عقلية، حيث إنه إن لم يكن كذلك فسيكون مجرد ضوضاء وجلبة، كما أن هذا الفكر لايعتمد على مجرد الادراك الحسي، لأن التواصل يعتمد على معلومات مختزنة في النظام العقلي المعرفي، الأمر الذي يتطلب مرحلة أكثر من مجرد الادراك؛ وهذا غير متاح سوي للإنسان فقط. والعناصر المكونة للصوت- الحروف والمقاطع- تختلف عن العناصر المكونة للمواد الطبيعية، فلكي تتكون مادة طبيعية فهي بحاجة إلى عناصر معينة لا سواها لكي تتكون؛ أما في حالة الإسم، فلكي نسمي شيئاً ما فنحن لسنا بحاجة إلى عناصر صوتية (حروف) بعينها،لأن العلاقة بين هذه العناصر ومدلولاتها علاقة قائمة علي مبدأ الاتفاق بين مستخدميها، ويصدق الأمر نفسه علي الجملة، غير أن أرسطو لم يسهب في تفاصيل هذه الفكرة. ويترتب على هذا أنه علي الرغم من أن القواعد اللغوية قواعد ثابتة فهي خاضعة للعرف، حيث إنها تعتمد على اتفاق مستخدميها من البشر وعلي اختيارهم.

وإذا نظرنا إلي الصوت الصادر من الحيوان، نجد أنه يحمل دلالة طبيعية لا دلالة قائمة علي مبدأ الاتفاق، تعبر عن ما يشعر به من ألم أو رغبة، فالصوت "moo" يحمل دلالة طبيعية على صوت البقرة، بيد أننا لا يمكن أن نعتبره اسماً إلا إذا كان يحمل دلالة على معناه بناء علي الاتفاق. والشخص الذي يقلد صوت البقرة، لا يمكن أن نقول إنه ينطق اسماً (Joseph 2000,p93). والأمر كذلك فيما يتعلق بنباح الكلب ومواء القطة فهما صوتان يشيران بالطبيعة إلي شيئ ما، غير أنهما لا يدلان علي أن الكلاب أو القطط قد اتفقت علي استخدام هذه الأصوات للتعبير عن انفعالات النفس. إذ أن أرسطو صور الكيانات اللغوية بوصفها رموزاً ليوضح صفتها القائمة علي مبدأ الاتفاق (Walz 2006,p245) . وما تصدره الحيوانات من أصوات لا يعد لغة، ومع ذلك تتواصل الحيوانات من خلالها، لا بالعرف بل تعبيراً عن حالة شعورية (Cuypere and Willems 2008,p318) . كذلك الأمر في بكاء الطفل الصغير ، فهو لا

يعد أيضا نطقاً للأسماء، لأن هذا البكاء ليس رمزاً لانفعالات النفس، لكن عندما يبدأ الطفل في نطق بعض الحروف فإن ذلك يدل على تطور مستواه الفكري والعقلي، حيث إن اللغة تعد دليلاً على نشاط عقلي وقدرة فكرية. وهناك ترابط بين اللغة والنمو العقلي الفكري، لأن هذا الصوت اللغوي يعبر عن الأفكار عن طريق الاتفاق، كما أن اللغة تعبر عن ادراك العقل الإنساني للموجودات الخارجية (Walz 2006,p248).

وتعتبر السطور الأولى من عمل أرسطو "عن التفسير" Περὶ ἑρμηνείας* من أكثر النصوص أهمية فى تاريخ علم الدلالة (Noriega-Olmos 2008,p141)، لأن هذا الجزء الضئيل (16a4-9) قد أمدنا بمعلومات وافية تفيد في مجال الدراسات الدلالية (Carson 1996,p111) . ويقول كينج إن هذا العمل واحد من أكثر النصوص التي أسيء تفسيرها في علم الدلالة قديما، وربما كان هذا الجزء موضوعاً للنقاش بين المتخصصين (King2012,p77) من أجل هذا السبب أو من أجل أسباب أخري. ويعد فكر أرسطو عن اللغة في هذا العمل

البذرة التي ترعرعت في الفلسفة الغربية، وكان لها تأثير في فلسفة اللغة إلى يومنا هذا (O'Callaghan 1997,p500).؛ ويعتبر لونج أن هذا الجزء أهم جزء في نظرية أرسطو اللغوية، وأنه أكثر النصوص تأثيراً في تاريخ علم الدلالة (Long 2011,p74).

ويحاول أرسطو في هذا العمل أن يقدم علاقة ما بين الواقع واستخدامنا اللغوي لهذا الواقع ، فيوضح أن إدراكنا للواقع لا يختلف من شخص إلي آخر، حتى لو اختلفت الكلمات المعبرة عن هذا الواقع من ثقافة إلى أخري(Carson 1996,p112) . ويركز أرسطو اهتمامه في هذا العمل على كيفية التعبير عن الفكر الكامن في الكلمات والجمل والمسائل المنطقية (كيندي ٢٠٠٥، ص١٨٢) . ومن المؤكد أن غاية اللغة القصوي هي التواصل، وبناء علي ذلك لابد من وجود آلية تسمح للمتحدث أن يوجد في ذهن المستمع رابطة بين ما يقوله والشيء الذي يتحدث عنه، وهذه هي العلاقة النفسية اللغوية في فلسفة أرسطو (Carson 1996,p106).

Ἔστι μὲν οὖν τὰ ἐν τῇ φωνῇ τῶν ἐν τῇ ψυχῇ παθημάτων σύμβολα, καὶ τὰ γραφόμενα τῶν ἐν τῇ φωνῇ. καὶ ὥσπερ οὐδὲ γράμματα πᾶσι τὰ αὐτά, οὐδὲ φωναὶ αἱ αὐταί· ὧν μέντοι ταῦτα σημεῖα πρώτων, ταὐτὰ πᾶσι παθήματα τῆς ψυχῆς, καὶ ὧν

τ α ῦ τ α ὁ μ ο ι ώ μ α τ α π ρ ά γ μ α τ α ἤ δ η τ α ὐ τ ά.(De interpretatione.16a4-9)

---

*) اصطلح المتخصصون على تسمية كتابه" Π ε ρ ὶ ἑ ρ μ η ν ε ί α ς " باسم "عن العبارة"، ولكن بوسعنا ترجمة الكتاب ب "عن التفسير" حيث إن الكلمة اليونانية ἑ ρ μ η ν ε ί α وكذلك الكلمة اللاتينية Interpretatione تعنيان: "التفسير".

" إن (الألفاظ) الموجودة في الصوت دلالات علي الانفعالات التي في النفس، كما أن (الكلمات) المدونة (دلالات للألفاظ التي) في الصوت . والحروف (=الكلمات) ليست هي ذاتها، وكذا الاصوات ليست هي ذاتها عند جميع (البشر)، في حين أن انفعالات النفس ذاتها هي دلالات عن تلك (الأشياء) الأولي وهي مماثلة لهذه الاشياء ذاتها."

وفي هذا الجزء يبدأ أرسطو بتعريف الكلمات على أنها رموز صوتية للانفعالات الموجودة داخل النفس، ثم يُعرف الكلمات المدونة على أنها رموز أو دلالات لتلك الكلمات المنطوقة، وبعدها يضيف أرسطو أن الكلمات المدونة والكلمات المنطوقة ليست سواء بالنسبة لكل البشر، ولكنها أشياء ملموسة. ويري أن الكلمات هي في المقام الأول علامات أو إشارات، أما الانفعالات التي تدل عليها هذه العلامات فهي في حد ذاتها صور مماثلة للأشياء، بمعني أن الكلمات رموز أما الانفعالات فهي صور أي علامات لها بواعثها، أما الأصوات والكلمات فهي قائمة علي مبدأ الاتفاق أوالعرف (كنيدي٢٠٠٥ص ١٨٢- ١٨٣).

وينبغي أن نؤكد أن انفعالات النفس ليست خاضعة لحكمنا وسيطرتنا، حيث إنها استجابة آلية للنفس عند حدوث تفاعل بين القدرات الحسية والأشياء الخارجية، بل إن تمثلاتها اللغوية التي نعبر بها عن هذه الانفعالات هي الخاضعة لنا وتحت تصرفنا ومرجعها إلينا ، كما أنها تختلف من مجتمع إلي اخر، وبالتالي فإن اللغة قائمة علي الفهم النفسي للأشياء الخارجية الثابتة (Roochnick 1990,p290) .

ويتضح لنا من النص السابق أن مبدأ الاتفاق في اللغة عند أرسطو يتطلب الحديث عن ثلاثة عناصر رئيسة، هي :أولاً الصوت، وقد عبر عنه أرسطو بالمصطلح φ ω ν η، ومن المتفق عليه أن كلمة φ ω ν η تعني الصوت الناتج عن الإنسان والحيوان، وهو يعد مقابلاً لأي صوت اخر، إذ أنه رمز أو دلالة علي الأشياء. وليس المقصود بالأشياء هنا تلك الموجودة في الواقع، بل الأحداث التي تترك انطباعاً في النفس؛ وهذه الانطباعات تمثل المحتوي العقلي لكل الأشياء سواء كانت صوراً أو مفاهيم Formigari) (2004,p23). ثانيا: الشئ الذي يعبر عنه هذا الصوت، والمقصود به المحتوى الإدراكي للصوت المعبر عنه بالأسماء والأفعال والجمل، وهذا الشئ هو

الانفعالات παθήματα . ثالثا: العلاقة بين الصوت والانفعالات: وهذه العناصر جميعاً يمكن التعبير عنها بمصطلح المثلث الدلالي semantic triangle .

يمكن أن نقدم شكلاً توضيحياً عن مفهوم أرسطو للدلالة اللغوية علي النحو التالي :

من الشكل السابق تظهر ثلاث علاقات مختلفة، أولا: علاقة دلالية بين الصوت والمعني أو الفكرة المعبر عنها؛ ثانياً: علاقة تشابه بين المعني أو الفكرة والشيء المشار اليه، ثالثاً: علاقة قائمة علي مبدأ الاتفاق بين الاسم(المركب من صوت ومعني) والشيء المشار إليه (Cuypere and Willems 2008,p323).

والسؤال الذي يطرح نفسه هو: هل الكلمات - سواء كانت منطوقة أو مدونة - هي علامات أو دلالات لانفعالات النفس، أم للأشياء الموجودة في الواقع ؟ يؤكد مكوتشن فى تعليقه على الفصل الأول من عمل "في التفسير" لأرسطو أن التعبيرات اللغوية تشير أولا إلى الأفكار، ثم إلى الأشياء التي تعد تمثلات لهذه الأشياء، حيث إنها تمثلات عقلية لهذه الأشياء (McCutchen 1994,p115) . ويقول بولانسكي إن كلمة τα ῦτα في النص السابق (De interpretation 16a7) لا تدل على الأصوات المنطوقة فقط، بل تدل أيضا علي الدلالات المدونة. ومعني ذلك أن الأصوات- سواء كانت مدونة أو منطوقة - تعد دلالات علي انفعالات النفس، والأصوات المنطوقة وحدها ليست هي التي تعد رموزاً لانفعالات النفس، وبالتالي فإن الأصوات المدونة تدل على كل من الأصوات المنطوقة وعلي انفعالات النفس(Polansky and Kuczewski 1990,p61).

تقول مودرك إن أرسطو يعتبر الأفكار ذات صفة عالمية، في حين أن الكلمات المستخدمة في لغة ما تكون هي ذاتها عند كل المتحدثين بهذه اللغة، وأن المتحدثين في اللغات الآخري يستخدمون مصطلحات مترادفة synonymous . كما أنها تري أن فكرة أرسطو عن ما تسميه بالأفكار العالمية universal pathemata هي نظير مفهوم أفلاطون عن الاسم المثالي الذي يكون هو ذاته عند كل المتحدثين. لكن في حين يري أفلاطون أن الواقع ينبغي أن يكون الواقع المثالي، يري أرسطو أن الواقع هو الأشياء الطبيعية

الموجودة حولنا، وأن هذه الأشياء الخارجية هي التي تحدد صفة الأفكار العالمية وشكلها؛ إذ أنه عندما ينبري أرسطو لدراسة الأشياء يقوم بدراسة الأشياء الموجودة لا الأفكار المجردة (Modrak 2000,p29).

ويعتبر هرمنيوس* أن أرسطو أكد أن انفعالات النفس هي ذاتها عند كل البشر، حيث ترجم هرمنيوس كلمة τ α ῦ τ α على أنها ضمير إشارة بمعني "هذه" وليس صفة توكيد بمعني "ذاتها". ويبدو تفسير هرمنيوس مقبولاً لأن أرسطو يؤمن باستحالة تعدد معاني الكلمة الواحدة ، الأمر الذي يؤدى إلى غموضها، فلو كانت الأفكار هي ذاتها عند كل البشر، فليس هناك سبب يجعل الكلمة تحمل معاني متعددة تعيق التواصل، ويري أرسطو أن الغموض وتعدد المعاني نتاج لمحدودية اللغة، وليس نتيجة امتلاك البشر لأفكار مختلفة**(Noriega-Olmos 2008,p169-170).

أما كلمة ὁ μ ο ι ώ μ α τ α أي "مماثلة" فتشير إلى التشابه في الشكل، أي التشابه الصوري، حيث إن أرسطو يريد القول بأن الأفكار تعد صوراً للأشياء؛ فعندما يتحدث الفرد بكلمات تعبر عن أفكاره يستقبلها المستمع متفقاً معه علي الفكرة ذاتها (King 2012, p54). لكن يوجد من يرفض هذه الفكرة على أساس أن لدينا أفكاراً عن أشياء ليس لها تمثلات مرئية ، مثل الفضيلة والشجاعة. ويتفق ألموس مع هذا الرأي موضحا أن المقصود هنا هو التشابه وليس التماثل الصوري. ولقد قال أرسطو في هذا السياق في عمله "عن الخطابة" إن "الخطابة نقيض للجدل" *** ἡ ῥ η τ ο ρ ι κ ή ἐ σ τ ι ν ἀ ν τ ί σ τ ρ ο φ ο ς τ ῇ δ ι α λ ε κ τ ι κ ῇ

على أساس أن الخطابة تستخدم الفرضيات والأدوات ذاتها، ومنها: الاستقراء والاستنباط؛ لكن لكل أداة منهما هدفه المختلف، حيث إن غرض الخطابة هو إقناع الجمهور، ولهذا فللخطابة أداة أخري بعيده عن الجدل هي العواطف (Noriega-Olmos 2008,p147) . ويتفق معه ليزيتار موضحا أنه لو كان المقصود التماثل فسيكون هناك استحالة لوجود الجمل الخاطئة. فقد فرق أرسطو بين الواقع وتعبير اللغة عن هذا الواقع (Lesetar 1998,p23).

ومن النقد الموجه إلي نظرية أرسطو في اللغة افتراضه أن التصنيفات العقلية هي ذاتها في كل الثقافات، لأن قدراتنا الادراكية والحسية – بيولوجيا- هي ذاتها ، فالدراسات التي تقوم على ربط اللغة بالنفس تقول إن التشابه في التصنيفات العقلية غير ممكن على الإطلاق (Carson 2003 ,p335). وتكمن المشكلة هنا في أن أرسطو لم يعط تفسيراً واضحاً بخصوص هذه الحالة، فهل هو كان مراده صورة عقلية أم حالة إدراكية؟ كما أنه لم يوضح أن الحالة الداخلية تماثل المظهر الخارجي، فضلاً عن أن

* هرمنيوس Ἑ ρ μ ῖ ν ο ς فيلسوف مشائي peripathetic عاش خلال النصف الأول من القرن الثاني ق.م. ، ودون تعليقات علي معظم أعمال أرسطو؛ و كان معلماً للإسكندر الافروديسي، ولم يتبق شيء من تعليقاته، وكان بويثيوس في تعليقاته على أعمال أرسطو يشير إليه.

** Aristotle, Π ε ρ ὶ σ ο φ ι σ τ ι κ ῶ ν ἐ λ έ γ χ ω ν.165a6-19

*** Aristotle, Τέχνη ῥ η τ ορική 1.1.1.

التماثل يحدث تأثيره في النفس تواً ومباشرة وليس من خلال وسيط أو ناقل لمحتوي دلالي . ويرفض بولانسكي فكرة أن التشابه يشير إلى صورة عقلية للشيء،حيث إن أرسطو يجزم بأن الأفكار الفعلية هي ذاتها الشيء الذي يدور حوله الفكر de anima 430a3-5، ولذا فإن استخدامه لكلمة ὁ μ ο ι ώ μ α τ α يمثل تأكيداً لاعتماد الفكر على موضوعه؛ ولذا فإن المقصود بالانفعالات الأفكار لا الصور (Polansky and Kuczewski 1990,p55-56) . وهناك الكثير من الألفاظ في القاموس اللغوي ليس لها صور في عقولنا تشبه الشيء المشار إليه بهذه الكلمات، مثل المفاهيم الأخلاقية والأرقام الحسابية، وعلي سبيل المثال لا نجد صورة فكرية توازي كلمة "أو" (Modrak 2000,p22) . واللغة كما يوضح أرسطو تدل على الأفكار المعبرة والمشابهة لمُثل الأشياء، وبالتالي فعالم اللغة هو النفس وليس العالم الخارجي، والأفكارπαθήματα تعبر عن جوهر الشيء، وهي تختلف عن التمثلات φαντασίαι ، حيث إن الأخيرة ليست هي نفسها عند كل البشر (Noriega-Olmos 2008,p166). ويتحدث أرسطو عن المصطلح φαντασία " التمثل " أو " التخيل" علي أنه أساس التفكير أكثر من كونه صورة لهذا التفكير، وهو بذلك يمد العقل بالصورة العقلية التي تجعله قادرا على التفكير، ومثل هذه العملية العقلية ضرورية لتكوين الرأي عند التفكير العلمي، ولإدراك الحقيقة فى حالة التفكير التأملي (de anima428b,431a,431b.) والتصور مرتبط بالنظر، لأن الرؤية هي مصدر الصور العقلية والانطباعات المرئية، كما أن التصور هو الوسيط بين الإدراك الحسي والعقل (Noriega-Olmos 2008,p115) ، فالإنسان يعمم الألفاظ التي يستخدمها في الإشارة إلى أشياء متشابهة؛ مثال ذلك: إذا تعلم الإنسان أن ذلك الشكل المستطيل الرباعي الارجل، الذي نجلس إليه وبه أدراج يسمي مكتباً، فإنه يشير إلى الأشياء المتشابهة فى المواقف المختلفة التي تندرج تحت الاسم ذاته . ويختلف هذا التفسير عن التفسيرات التقليدية التي تعتبر الأفكار وسيطاً لتعبير اللغة عن العالم الخارجي (Lewis 2011,p355) .

يري كينج أن الافكار π α θ ή μ α τ α هي التمثلات φαντασίαι، لأن التمثلات تتخيل الصور ذات السمات الحسية الناتجة عن الإدراك الحسي، ومحتوي هذه التمثلات هو السمات الحسية التي يحظي بها الشيء الخارجي. كذلك ذهب أرسطو

إلي أن الأفكار παθήματα مماثلة للموضوعات πράγματα ، أما التمثلات φαντασίαι فهي آثار هذه الإدراكات المختزنة فى الأعضاء الحسية، وهذا يفسر قول أرسطو بأن انفعالات النفس هي ذاتها عند كل البشر (King 2012,p102-103).

وكلمة Φαντάσματα (التخيلات) هى العجلة التي تحمل المحتوي من القدرة الادراكية إلى القدرة العقلية، وبالتالي لا تستطيع النفس أن تفكر بدونها (King 2012,p137-138). ويقول كينج إن انفعالات النفس هي الصور العقلية والأفكار، وأن الانفعالات παθήματα قد تكون هي التمثلات φαντασίαι أو الأفكار νοηματα (King 2012,p87) ، فالإنسان يمتلك القدرة على التفكير والإدراك، ولديه الرغبة فى المعرفة والفهم. ومثلما أن الإدراك يتأتي من خلال عضو حسي، فإن التفكير يتضمن استقبال الإدراك من خلال قدرة إدراكية مناسبة (Modrak 2000,p246-247)) de anima429a13-18 . في حين يعتقد O'Callaghan أن انفعالات النفس لا تشير إلى المفاهيم العامة، بل تشير إلى مفاهيم العقل التي ليست هي المثل الأفلاطونية، كما أن أرسطو يعبر بشكل اصطلاحي عن هذا المفهوم الذي يعبر عن طبيعة الاشياء المفردة (O'Callaghan 1997,p507).

ويميز أرسطو بين الإدراك والفهم، فالحيوان لديه القدرة على الإدراك، أما القدرات العقلية والفهم والتمييز بين المفاهيم فهي أمور تخص الإنسان وحده (Caston 1996,p22) . والفهم هو العملية الأكثر عمومية التي تنطوي على الإدراك وليس العكس . ولفهم اللغة يتم الحصول على معنى الكلمة عن طريق فحص المعجم العقلي الذي تختزن فيه المعاني، كما يحدث فى القاموس اللغوي؛ ومن المعتقد أن المعجم يحوي الشفرة الصوتية للكلمات والبناء المورفيمي ومعناها. ولقد وازي أرسطو بين اللغة والتفكير، حيث أكد أن الأسماء البسيطة والأفعال تشبه الأفكار البسيطة، لذلك لا يمكننا فحصها ولا أن ننسب صفة الصواب أو صفة الخطأ اليها، إلى أن يتم تركيبها معا فى جملة. ويدفعنا هذا إلى القول بأن أرسطو يبحث العلاقة بين الكلمات والأفكار νοηματα لا بين الكلمات والتمثلات الذهنية φαντασίαι، والتشابه بين الأفكار وبين الأشياء يأتي من أن الأفكار تشبه مثال الأشياء لا الشيء ذاته، ومادام قد وجد اتفاق على استخدام كلمة ما لتدل على شيء ما، فلا يمكن أن نستبدل بها كلمة أخري، لأنها تحوي المحتوي الفكري لهذا الشيء المسمي؛ فاللغة هي وسيلة الإنسان فى التعبير لامتلاكة الفكر، وعلى هذا الأساس يري كينج أن الأفكار παθήματα هي ذاتها كلمة (King 2012,p92-93).

ἔστι δέ, ὥσπερ ἐν τῇ ψυχῇ ὁτὲ μὲν νόημα ἄνευ τοῦ ἀληθεύειν ἢ ψεύδεσθαι ὁτὲ δὲ ἤδη ᾧ ἀνάγκη τούτων ὑπάρχειν θάτερον, οὕτω καὶ ἐν τῇ φωνῇ· περὶ γὰρ σύνθεσιν καὶ διαίρεσίν ἐστι τὸ ψεῦδός τε καὶ τὸ ἀληθές.(De interpretatione16a10-14)

" ومثلما هو الحال في النفس توجد فكرة - في بعض الأحيان- لا تتصف بالصواب أو الخطأ، فإنه في أحيان أخري توجد فكرة أخري يلزم أن تحظي بإحدي هذه (الصفات) ، فكذلك الأمر في الصوت يكون الخطأ والصواب (ضرورة) للربط أو للفصل."

وكل المخلوقات الحية لديها مقدرة فطرية على الإدراك الحسي، وبعض هذه المخلوقات لها ذاكرة، وبعضها الاخر لا يمتلكها، والفئة التي لديها ذاكرة تفكر، أما الفئة الأخرى فتتراكم لديها صور الشيء نفسه في إدراكها، وينتج عن ذلك ما يشبه الخبرة. لكن الرغبة في التعلم والمعرفة موجودة في جميع الكائنات الحية، والذاكرة كأي قدرة عقلية تعتمد على وظيفة الخيال الذي يسببه الإدراك الحسي أو إدراك الصور، الأمر الذي ينتج تمثلات ذهنية φαντασματα في النفس الإنسانية. وهذه العملية الخاصة بالذاكرة تتماثل مع إدراك الشيء أو مع الانطباع الذي يتركه الحس. والإطار المميز لهذه الصور هو أنها بمثابة نسخ أو نماذج لأشياء أدركها الإنسان بالفعل من خلال حواسه فيما مضي، ثم تراكمت انطباعاتها في نفس الإنسان ووعيه، فنتج عنها أن هذا الوصف أو هذا التصوير هو صورة الشيء، وهو ما يشكل الذاكرة التي تمثل لدي الإنسان القدرة على حفظ الشيء واستعادته بعد ذلك عن طريق التذكر. ويعتمد التذكرعلى ترابط الأفكار، كما يتطلب وعيا من الشخص بالشيء المراد تذكره، ثم إدراك الشيء الذي أعاد ابتكاره أو وصفه؛ وتجميع هذه الأشياء ميزة يختص بها الإنسان وحده دون سائر المخلوقات، ويعد هذا التجميع نوعاً من القياس أو الاستنتاج (نشوى٢٠٠٩، ص١٩٠).

أما التمثل الذهني φαντασία (الذي يمثل الرابطة بين الإدراك والفكر) فهو مرتبط بالإدراك بشكل أقوي، وقد أكد أرسطو أن الإدراك هو ما يميز الحيوان عن النبات (de sensu436b9-12) ، وأن عملية الإدراك تمثل عملية إحلال أو إبدال، حيث إن الشبيه يتأثر بما يشبهه (de anima418a3-6) وكأنه يكتسب صفاته من خلال الحواس الخمسة، وكذا من خلال ما يسمي بالحس المشترك*(de anima418a17-22) . وهذا الإدراك يمثل استقبال الشكل الحسي للشيء لا الشيء نفسه، فعندما يمسك الإنسان شيئاً ساخناً، فإن الحس يدرك ذلك دون أن يكون هذا الحس في حالة السخونة، فاليد تكون ساخنة لكن إحساسها باللمس يدرك فقط هذه السخونة دون أن يصبح الإدراك في الحالة ذاتها** ، حيث يأخذ الحس شكل الشيء دون حالته. كذلك الحال بالنسبة للعقل حيث يؤثر الشيء في الفكر من خلال شكله لا من خلال حالته. أما الأصوات المنطوقة فتكتسب معانيها من خلال اتفاق الناس على هذه المعاني، حيث يؤكد أرسطو أن الأسماء ليست هي نفسها عند جميع البشر(Berg 2008,p21). ولقد

بني أرسطو نظريته في المعرفة على الحس والعقل والحدس، ولذا فإنه يرى في المعرفة الحسية معرفة مباشرة تكشف لنا الطبيعة من أقرب الطرق، ويتم ذلك عن

*الحس المشترك هو الذي يتيح وحدة الإحساس: فلو لم يكن هناك حسٌّ مشترك لتكاثر الإدراك بعدد الحواس. فعلى سبيل المثال، إذا أبصرتُ وردة ولمستها وشممتها فإن الحس المشترك هو الذي يتيح لك أن تَنسُبَ مدركات الحواس إلى غرض واحد بعينه (الوردة). الحس المشترك، إذن، هو الذي يوحِّد الأحاسيس الخارجية وينقل حصيلتها إلى ملكات النفس العليا، وهو يتعلق كلِّية بالأحاسيس الخارجية.

**انظر Aristotle ,de somno455a13-21,de anima425b12-23,429a13-18,430a3-4,418a3-6

طريقين: الإحساس الظاهر بواسطة الحواس الخمس، والإدراك الباطن. و ينتج الإدراك الباطن من خلال ثلاث قوى باطنة:

١ - الحس المشترك: وهو مركز تتجمّع فيه صور المحسوسات بما يسمح بالتآلف والمقارنة بينها.

٢ – المخيّلة (التمثل الذهني): وهي قوة تجتمع فيها صور الأشياء بعد غياب مادتها من العضو الذي أحس، وهي مؤلفة من صورة ومظهر ناتجين عن الإدراك الحسي، وهذه الصور تظل باقية في الأعضاء الحسية مثل الصوت واللون والشكل، وبالتالي فهي مرتبطة بصورة قوية بالإدراك، وهي لا توجد في الحيوانات الأدنى من الإنسان، حيث إن هذه الحيوانات تمتلك الإدراك فقط (King 2012,p99-100).

٣ - الذاكرة: وهي قوة تسمح باستعادة الصور، ولا تختلف عن المخيّلة إلا في نسبتها إلى الزمن الماضي.

والإدراك دائما صحيح لأنه يعتمد على آلية عقلية بيولوجية، فى حين أن المخيلة أو التمثل الذهني φαντασία يمكن أن تكون خاطئة، لأنها تعتمد على قدرات تتحكم فيها أهواؤنا، مثل قدرتنا على تجميع الأفكار معاً، حيث يكمن الصواب أو الخطأ. وبالتالي فالانفعالات أو الأفكار غير المركبة ناتجة عن عمليات عقلية لا ترجع إلينا ولايمكن أن نخطيء فيها، أما عندما تتجمع إدراكاتنا معا في شكل أفكار لا تتلاءم مع الواقع فهنا يظهر الخطأ (caston 2009,p327) .

والعلاقة بين انفعالات النفس والأشياء فى العالم الخارجي لا ترجع إلينا وبالتالي لا يعتريها الخطأ، أما عند التعبير عن هذه الأفكار لغويا فقد يحدث خطأ، لأنها قائمة على علاقة اتفاقية تعتمد علينا في تمثل الأشياء التي تحدث في أفكارنا (Carson 2003,p334)، وهذا التوافق القائم علي العرف هو الذي يجعل المتحدثين في البلاد المختلفة يستخدمون دلالات لغوية مختلفة للتعبير عن المعني ذاته (Modrak 2000, p241).

ولقد ميز أرسطو في عمله "في التفسير" (الجزء 16a4-9) بين مصطلحين هما انفعالات النفس π α θ ή μ α τ α τ ῆ ς ψ υ χ ῆ ς والانفعالات الكامنة في

النفس ἐν τῇ ψυχῇ παθήματα، ولم يظهر هذان المصطلحان مرة أخرى فى النص، بل يندر استخدامهما عند أرسطو. ويخبرنا ألكسندر في تعليقه (in de anima13,1) "إن الانفعالات παθήματα هي: الغضب والخوف والرغبة وأشياء مشابهة لذلك" (Carson 1996,p115). لكن ما هو الفرق بين التعبيرين في اللغة اليونانية؟ تعبر حالة القابل dative المستخدمة في عبارة ἐν τῇ ψυχῇ παθήματα "انفعالات فى النفس" عن المكان ، في حين تعبر حالة المضاف إليه المستخدمة في παθήματα τῆς ψυχῆς " انفعالات النفس" عن النسبة أي الانفعالات الخاصة بالنفس. فقبل عملية الإدراك لم تكن النفس قد شكلت تشابهاً مع الأشياء، وهذا التشابه هو ما يسمي بانفعالات النفس، وموضع هذا التشابه هو النفس، وليس أي مكان آخر، ونحن نستطيع أن نتعامل مع هذه الانفعالات، ونعطي لها أسماء حتى نتمكن من التعبير بشكل لغوي عنها. وهذه الانفعالات هي حلقة الوصل بين النظرية الطبيعية ونظرية العرف أو الاتفاق في نظرية أرسطو اللغوية (Carson 2003,p321-322). وتتمثل النظرية الطبيعية في العلاقة بين الأشياء وانفعالات النفس، أما نظرية الاتفاق فهي العلاقة بين انفعالات النفس والإشارات المنطوقة والمكتوبة؛ فصوت الإنسان لا يحمل دلالة بالطبيعة بل بالعرف أو الاتفاق، في حين أن الأفكار والإدراك وانفعالات النفس لا تعتمد على الاتفاق بين المستخدمين في المعني الذي تحمله، بل هي تؤدي وظيفتها بالطبيعة. أما الكلمات فتعبر عن المحتوي العقلي للأشياء، وهذا ما يجعل المجتمع الإنساني أكثر حميمية من المجتمعات الحيوانية الأخرى، حيث إنه مجتمع قائم على الوعي والفهم والقدرة على التواصل من خلال اللغة (Berns 1976,p187-189).

ويمكن القول بأن أرسطو لم يضع علاقة مباشرة بين الأشياء الواقعية الحقيقية والأصوات التي يتم التحدث بها، وإن كان هناك من يري أن الأصوات تدل على الأشياء الخارجية في العالم بواسطة الفكر، وذلك لأن الفكر مرتبط سببيا بالعالم. اللغة إذن ليست مجرد أصوات تنطق من فراغ، بل هي رموز لأشياء وأفكار في العالم الخارجي. واللغة علامات اتفاقية يستعان بها على توصيل دلالات اصطلاحية، فعندما نقول إن الصوت الملفوظ يستخدم للدلالة على الأشياء، يكون ذلك نابعاً من حقيقة أن هذه الأشياء المعبر عنها في الصوت هي تمثلات لانفعالات النفس (Noriega-Olmos 2008,p14)، حيث يوجد نوع من التواصل بين الصوت الملفوظ والمحتوى النفسي لهذا الصوت. ويعد الفكر هو الوسيط الذي نستخدمه لندلل به على الأشياء، فمثلا لكي ندلل على الشيء(شجرة) ينبغي أن يكون في عقولنا تصور ذهني للشجرة معبر عنه بكلمة شجرة (Noriega-Olmos 2008,p153).

يقول إلموس إن كلمة πρώτων (في de interpretatione16a4-9) صفة ، حيث إنها تشير إلى أن الألفاظ تدل على الشكل المثالي FORM للأشياء أي الطبيعة الجوهرية للشيء؛ وهكذا فإن الصوت لا يدل على الشيء في شكله المادي، ولكن في شكله الجوهري الأساسى. وليس من المعروف أو من المحدد ما إذا كان المقصود بكلمة πρώτων الأشياء الأولى زمنياً أم دلالياً(Noriega-Olmos 2008,p154). لكن كينج يؤكد أن كلمة πρώτων دلالية بمعني أن العلاقة الطبيعية بين الأصوات المتحدث بها وانفعالات النفس تسبق دلالياً العلاقة الاصطلاحية بين الأصوات التي يتم التحدث بها وانفعالات النفس (King 2012,p127) . لذلك نجد عند سماع الإنسان لغة أجنبية لا يعرفها، يصبح أمام أصوات غير مفهومة ليس لها تصنيف واضح عنده، ولكن ابن اللغة العارف بها لا يسمع هذه السلسلة الصوتية فحسب، بل يميز مكوناتها ويفهم محتواها الدلالي.

وتعد الكلمات المنطوقة والمدونة التي نستخدمها فى التواصل مع البشر اتفاقية بالنسبة لأرسطو، لأنها ترجع إلى اتفاق البشر، كما أنها ليست ذات علاقة طبيعية ضرورية مع الواقع الخارجي، في حين أن انفعالات النفس لا ترجع إلينا، لأنها نتاج طبيعي لتفاعل حدث بين الواقع الخارجي وإدراكاتنا الحسية والعقلية لهذا الواقع الخارجي، وأنها هي ذاتها عند جميع البشر(O'Callaghan 1997,p510,514).

ويري إلموس أن كلمة πράγμα لا تشير فقط إلى الشيء المادي الخارجي، حيث إن هذه الكلمة عند أرسطو ذات معني أعمق من ذلك، فهي تدل على كل من الأشياء المادية وعلي المفاهيم، وبالتالي يمكن فهم هذه الكلمة على أنها الجوانب المثالية للشيء المادي المعبر عنه في الأفكار، ويعد هذا تفسيرا للألفاظ الدالة على الكيانات المجردة، مثل الأرقام والقيم والكيانات غير الموجودة في الواقع مثل "الماعز-الأيل"، وكذلك الكلمات الدالة على الأفعال مثل "يمشي". إن الألفاظ تدل على الأفكار التي تشبه الأشياء والتي هي مماثلة للجوانب المثالية للأشياء. وبالتالي يتضح أنه لكي نشير لغويا إلى الشيء، ينبغي أن يكون لدينا تصور فكري للشيء المثالي، وهنا يوجد لدينا تأكيد للمحتوي النفسي للغة، لا للعلاقة بين التعبيرات اللغوية والأشياء الخارجية. فعالم اللغة هو العقل والنفس، وهناك أشياء يعبر عنها باللغة لا توجد في العالم الخارجي، حيث إن الأسماء والأفعال والجمل تشير أو تدل علي الأفكار، ومحتوى هذه الأفكار هو مثال FORM الشيء . الأفكار إذن والمثل تكون متماثلة، وهذا يفسر قول أرسطو "إن الأفكار هي ذاتها عند كل البشر"، لأنها معبرة عن الجوهر الذي لا يتغير-Noriega) (Olmos 2008,156-158 . فالشيء هو الذي يؤثر في النفس لتحدث الانفعالات، أما المثل فهي التي تعطي الهُوية للأشياء مسببةً وجود نوع من الوحدة بين الأشياء المتشابهة (O'Callaghan 1997,p542).

ونلاحظ أن أرسطو لم يتحدث عن الأفكارπαθήματα فى عمله "عن التفسير" ، بل تحدث عنها في عمل آخر هو" عن النفس" ، موضحا أن الأفكار تتكون من خلال فهم ما يحيط بنا من أشياء، ومن خلال الفكر والأحاسيس تنتج المفاهيم التي تزودنا بأساسيات المعرفة واللغة، وهذه الأفكار هي حاملة المعاني التي يتشارك بها المتحدثون في اللغة . ويعتبر أرسطو أن الإدراك والتفكير شيئان مختلفان (de.anima427b6ff,27) ، وأن الفكر لا يحدث بدون إدراك(Cuypere and Willems 2008,p321,323).

يقول إلموس إن الفكر هو ذاته عند كل البشر لأنه يعد تمثلاً لمثال الأشياء أي جوهر الشيء الذي لا يتغير، أما φαντασία فهي تختلف من شخص إلي آخر، موضحا أنه في عمله "عن التفسير" لا يتحدث عن التعبيرات اللغوية الإنسانية بصفة عامة، بل عن التعبيرات اللغوية المستخدمة في الجدل والنقاش الفلسفي، وأنه يقصد بكلمة $\pi \tilde{\alpha} \sigma \iota$ " عند كل (البشر)" هؤلاء الذين يستخدمون اللغة بشكل مختلف، وهم الجدليون والفلاسفة والعلماء، وأن أرسطو أيضاً لم يفكر في اللغة بشكل عام مؤكداً أن التمثل الذهني أو المخيلة φαντασία يمكن أن تكون صحيحة أو خاطئة، في حين أن الأفكار παθήματα البسيطة لا يمكن أن تكون صحيحة أو خاطئة. فالأفكار إما أن تعبر عن الشيء وإما أن لا تعبر عنه على الإطلاق، أما التمثل الذهني أو المخيلة φαντασία فيمكن أن تكون خاطئة عندما لا تمكن الشخص من إدراك الشيء deAnima428a11-16 (Noriega-Olmos 2008,p160-162)، وذلك عندما ينسب إلي الشيئ صفات ليست موجودة في الشيء. ويوضح هذا أن التمثل الذهني φαντασία للشيء ذاته يمكن أن يختلف من شخص إلي آخر حسب الظروف والمسافات، حيث إن الإنسان القريب يستطيع إدراك الشيء أكثر من البعيد، وهذا على خلاف الفكر الذي يعبر عن طبيعة الشيء، وبالتالي فإن انفعالات النفس يمكن أن يشار إليها بالأفكار παθήματα وليس بالتخيل φαντασία (كما في de interpretatione16a10) (Noriega-Olmos 2008,p164).

ويخبرنا أرسطو أن الأفكار هي انفعالات النفس التي تحدث عندما يتأثر العقل بالشيء فيُكون العقل حينئذ أنموذجا لهذه الأشياء، وتكون الأفكار أنموذج لهذه الأشياء في النفس(Noriega-Olmos 2008,p103).أما التمثل الذهني φαντασία فهو خطوة في العملية التي تقود إلى إنتاج الأفكار، فكل الحيوانات لديها إدراك حسي sense perception، وبعض الحيوانات لديه ذاكرة، وبالتالي فلديه تمثل ذهني φαντασία ناتج عن الإدراك. أما الحيوانات التي لديها ذاكرة، فإن البعض منها لديه الخبرة، ومن بينها-- الإنسان الذي يمتلك العقل. فالحيوانات الأرقى من غيرها لديها القدرات العقلية

التي يمتلكها من هو أقل منها في الرقي بالإضافة إلى قدرات عقلية أخري تميزه عنها جميعاً (Noriega-Olmos 2008,p105).

إن خضوع الأفكار المركبة لفكرة الصواب والخطأ لا يعنى أنها مختلفة من شخص إلي آخر، بل يعني أنها نابعة من ربط حالتين ليستا متوافقتين معا، فجملة "سقراط ليس حكيما" تكون خاطئة حينما يكون "سقراط حكيما (Noriega-Olmos 2008,p165) .

والسؤال الذي ينبغي الإجابة عليه الآن هو: ما المقصود بهاتين العبارتين τ ὰ ἐ ν τ ῇ φ ω ν ῇ & τ ὰ ἐ ν τ ῇ ψ υ χ ῇ؟ من غير الواضح أنهما تشيران إلى الأسماء والأفعال والجمل الملفوظة في الصوت، أو أنهما تعبران عن انفعالات النفس (الأفكار)، أو عن شئ أعمق من هذا. ويري والز أن أداة التعريف "τ ὰ " في (De interpretation 16a4-9) تشير إلى الأسماء الملفوظة في الصوت، حيث إن الصوت الملفوظ هو المادة التي يوجد فيها الإسم والفعل والجملة، فمثل الصوت بالنسبة للمتحدث كمثل الرخام بالنسبة للنحات، أو اللون بالنسبة للرسام؛ فمثلما يقدم النحات أفكاره عندما ينحت الرخام، ومثلما يفعل ذلك الرسام عن طريق الألوان، فإن المتحدث يقدم أفكاره من خلال الصوت، حيث يجسد أفكاره فيه وينقلها إلى الآخرين، كما يمكنه أيضا أن يجسد أفكاره من خلال الكتابة التي تمثل تجسيداً لهذا الصوت على الورق(Walz 2006,p241-242).

ويؤكد بولانسكي أن المقصود بالدلالة ليس في كونها علاقة طبيعية بل علاقة عرفية اتفاقية، وأن الكلمات تحمل معني من خلال تركيبها من حروف ومقاطع ملفوظة، وهذا الملفوظ رمز ودلالة لما هو في العقل من أفكار(Polansky and Kuczewski 1990,p58-59)؛ فعندما أقول إن الدخان يدل على وجود النار، فهذا لا يعني أن الدخان هو النار بل علي أنه يدل علي وجودها.

ويقول أمّونيوس Ἀ μ μ ώ ν ι ο ς (٤٤٠-٥٢٠م) إن أرسطو لم يعتبر الأصوات المنطوقة رموزاً لانفعالات النفس، بل رموزاً لما في هذه الأصوات(Ammonius22,10)، كما يري أن أرسطو قد وضع هذا التمييز حتى يفرق ما بين الصوت في العموم ودلالة الأصوات المنطوقة، حيث إن المقصود هنا الأفعال والأسماء الموجودة في هذه الأصوات(Ammonius22,24-25). فالقدرة على إنتاج الصوت مماثلة لبقية القدرات الأخرى، سواء كانت السمع أو الرؤية أو التذوق، وهي قدرة وهبت لنا بالطبيعة ؛ أما الأسماء والأفعال فهي من نتاجنا وتم قبولها بوصفها رموزاً لأفكار النفس وانفعالاتها

(Ammonius23,1-2)(King 2012,p49) . فتأثير العالم فينا من خلال الحواس والعقل ينتج المفاهيم التي هي أساس اللغة والمعرفة(Modrak 2000,p51).

ولا يمكن فهم الأشياء والمعلومات في الطبيعة التي تلتقطها حواس الإنسان دون إدراك ماهيتها، فالذي لا يدركه العقل لا تحفظه الذاكرة لعدم وجود ما يماثله في مكتسباتها، حيث تتطلب طريقة الحفظ رموزاً وإشارات خاصة لرسم صورة قابلة للحفظ في خزانة الذاكرة. إن جهل العقل بالشيء الجديد يستلزم معلومات عن ماهيته ليجري إدراكه، ومن ثم تخزينه في الذاكرة واستعادته وقت الطلب. لذلك يتطلب فك الرموز والإشارات وجود صورة الشيء المدرك عقلياً وإلا فلا سبيل لاسترداده؛ والإدراك يعدّ آلية من آليات الذاكرة للعقل، بدونها لا يمكن للحواس وحدها أن تكون أداة لتسجيل انعكاس لصورة ما في الطبيعة في مخزون الذاكرة. ويُعرف الإدراك بأنه: " العملية التي بها تُجمع المنبهات الواردة وتفسرها من خارج الذات عبر الحواس المختلفة باستخدام خبرات الذاكرة المكتسبة سابقاً ". ولا يمكن أن يعد التقاط الحواس المختلفة لصور الأشياء من الطبيعة جزءاً من مخزون الذاكرة، لأنها لا تحفظ الأشياء المجردة غير المتداولة سابقاً بغير إدراك ماهيتها، إما عن طريق الخبرات السابقة المكتسبة لاستكمال بناء الصورة في الذاكرة، وإما عن طريق التعرف أكثر على ماهيتها، بغرض إضافة خبرة جديدة للذاكرة تستخدمها لبناء الصورة وحفظها. فالإدراك للأشياء القديمة أو الحديثة لابد أن تصاحبه حالة تواصل بين الشيء ومثيله في الذاكرة أو بين الشيء وانعكاسه فيها، ليتمكن العقل من استيعابه وفك رموزه. وبعد أن تستكمل الحواس التقاطها لصور الأشياء من الطبيعة، ويدركها العقل عبر مكتسباته وخبراته القديمة والحديثة ، يجري تخزينها في ذاكرة العقل الذي يمتلك أو يكتسب آليات فك شفرات صور الأشياء الكامنة في الذاكرة عند طلب استردادها ثانية. لكن ذلك لا يتم بغير أن تصاحبه آلية أخرى تعمل على تصفية المعلومات وماهية الأشياء التي صورتها الحواس المختلفة وجرى إدراكها لخزنها في الذاكرة . ومرشحات التصفية في العقل تتمثل في الوعي الذي يعيد تنظيم المعلومات، وماهية الأشياء وصورها القديمة أو الحديثة ،على شكل أرشفة نوعية تحفظ في خزانة الذاكرة ليجري استردادها بسهولة عند الضرورة؛ وليس هناك عشوائية في تخزين المعلومات أوالأشياء وصورها في الذاكرة.

وتعد العمليات الذهنية الآنية الجارية في العقل بغية اختزان المعلومات والأشياء وصورها في الذاكرة لزيادة مكتسبات العقل المعرفية عملية معقدة للغاية، لا تقتصر على سياقها ومراحلها السابقة الذكر، بل هي مرتبطة بعمليات ذهنية أخرى أكثر تعقيداً. فالعقل بمثابة منظومة متكاملة، تشتغل بآليات مختلفة لكنها محكومة بضوابط وإيعازات خاصة يصدرها العقل وفق نظم معقدة لإنتاج فكرة جديدة. والعملية الذهنية

هي جملة العمليات الواعية للتفكير، مثل ربط كل فكرة تجري في مساره ومقارنتها وتدقيقها، لإيجاد سبل حلها . ومثل هذه العمليات المعقدة وهبها الله للإنسان حين ميزه بالعقل عن بقية الكائنات مما جعل اللغة هبة خاصة بالإنسان وحده دون سواه (Polansky and Kuczewski 1990,p87-89).

والأفكار منها البسيطة ومنها المركبة، فالبسيطة هي كيانات غير قابلة للقسمة، وهي الأساس والشكل الأولي الذي تتكون منه الأفكار المركبة، ولايمكن وصفها بالصواب أو الخطأ. وعندما لا تعبر الفكرة عن الشيء فهي بالأحري فكرة تعبر عن شيء آخر، وبالتالي فهي فكرة مختلفة عن الشيء المعبر عنه. والأمر كذلك بالنسبة إلي ما يمثل هذه الفكرة في الصوت الملفوظ من أسماء وأفعال، لا يمكن وصفها كذلك بالصواب والخطأ، لأنها كيانات لغوية مماثلة للأفكار البسيطة (de interpretatione16a10-25 -19,16b19) . وينطبق هذا الأمر أيضا على الجمل غير التوكيدية، أي التي ليس بها فاعل ولا إسناد لهذا الفاعل(de interpretatione16b26-28,17a8-22) ، فالخطأ الناشيء في اللغة نابع من تركيب مفاهيم بشكل يختلف عن تركيب الأشياء في العالم(Caston 1996,p52)، وعلى العكس منها نجد الأفكار المركبة التي يمكن أن توصف بالصواب أو الخطأ (de.anima.430b27-29) ، ولا يمكن فهمها بدون فهم الأجزاء المكونة منها. وبالتالي فإن في الصوت تعبيرات وأشكالاً لغوية توصف بكونها صائبة أو خاطئة، فلو وجد في العقل فكرتان بينهما تناقض، فإن ذلك يستدعي وجود تناقض أيضاً في التعبيرات اللغوية المعبرة عنهما. ومن هنا يتضح أن اللغة والتعبيرات اللغوية لا تتمثل فقط في الأفكار والمعتقدات، بل تعد تمثلاً لسمات هذه الأفكار أيضا من بساطة وتركيب ونفى واثبات وتناقض(Noriega-Olmos 2008,p110) . ولا يقوم الصواب والخطأ على أساس الاعتقاد، بل على أساس الواقع الفعلى، فعندما أقول عن شخص "إنه شاحب" وأكون على صواب في قولي، فهذا ليس لأنني أعتقد ذلك، وإنما لأنه هو كذلك في الواقع (Modrak 2000,p56).

وهناك سؤال آخر يطرح نفسه، هو: ما المقصود بكلمة دلالة؟ بالبحث في القاموس عن كلمة σημαινειν وجدنا أنها تعني "يشير"، " يظهر شيئاً بواسطة علامة". ويقول إلموس إن استخدام أي إشارة - في الكلمات اليونانية- من أجل إظهار أي غرض يعد دليلاً علي وجود شيء آخر، ويعتبر هذا نوعاً من الدلالة، ومن ذلك اعطاء إشارة ما، مثل صوت أو ضوء أو دخان من أجل الهجوم في الحرب. وتعد النبؤات أيضاً نوعاً من الدلالة، حيث إن الآلهة تشير أو تدل على شيء من خلال النبؤات. ويوجد كذلك نوع آخر من الدلالة يتمثل في ظهور مجموعة من النجوم في السماء على شكل ما، فتكون دلالتها هبوب الرياح(Noriega-Olmos 2008,p58). وفي

هذه الأمثلة نجد أن العلاقة بين الشيء الدال والإشارة ذاتها علاقة اصطلاحية تقوم على العرف والاتفاق. ولم يزودنا أرسطو بتفسير لكلمة "العرف أو الاتفاق"، لكن من المعروف أن الاتفاق أو العرف هو اتفاق بشري، حيث إن الأشياء المتفق عليها أشياء حدثت بواسطة البشر (Noriega-Olmos 2008,p177). ففي المثال الأول نجد الاتفاق قائماً بين القائد وجنوده على إطلاق إشارة ما للهجوم؛ وفي حال النبوءة نجد أنها تعمل عمل الإشارة للدلالة علي أحداث مستقبلية تقوم على أساس افتراضات اجتماعية وثقافية ودينية؛ أما المثال الثالث فهو لا يمثل اتفاقاً اجتماعياً، بل حادثه متعلقة بظاهرة طبيعية، فالعلاقة بين النجوم والرياح علاقة طبيعية، ولكننا ندرك هذه الظاهرة على أساس الملاحظة والتجربة والوعي المعتمد على المعرفة أكثر من كونها اتفاقاً اجتماعياً (Noriega-Olmos 2008,p59,61) . وبالمثل في اللغة فإن الأسماء والأفعال والجمل تحمل دلالة، طالما أنها تدل علي شيء ما، وهذا الشيء هو انفعالات النفس؛ فالاسم يدل على شيء ما وهو الفكر البسيط، أما الجمل فتدل على حقائق، بمعنى أنها تدل على أفكار مركبة (Noriega-Olmos 2008, p65) (De interpretatione16a12-13) .

ويقول كارسون إن هناك تعاقباً طبيعياً لتفاعلات سببية يبدأ من الأشياء مروراً بالمشاعر منتهيا إلي انفعالات النفس، وهي الوسيلة التي من خلالها نكون انطباعات عقلية عن الأشياء الخارجية، حيث إن الأشياء في العالم الخارجي مستقلة عنا، لكنها متأثرة بنا كما نتأثر نحن بها؛ ومثل هذا التفاعل ينتج انفعالات النفس التي هي مشابهة للأشياء الخارجية. لكن أرسطو لم يتحدث عن آلية القدرات الحسية في نقل الإدراك(Carson 1996,p121-122)، بل أكد أن إدراكنا للشيء دائما صحيح (de anima 427b12) . ويرجع هذا إلى وجود تفاعل طبيعي بين القدرة الإدراكية والشيء، ولا يرجع إلي أهوائنا، حيث إن الخطأ يكمن فقط فيما هو متعلق بأهواء الفرد وقدراته. هناك إذن اختلاف بين التفكير والإدراك (de anima417b16-28) فالأشياء المتعلقة بالإحساس هي الأشياء الخارجية، في حين أن الأشياء المتعلقة بالفكر كامنة في النفس، وهي تتعلق بالتمثلات الذهنية التي تتشكل في العقل، أما الإدراكات فتتعلق بالأشياء المحسوسة، وبالتالي فإن الفكر لا يرجع إلى أهوائنا. والحق أن كل فكر قد يكون صحيحاً أو خاطئاً على أساس اتفاقه أو اختلافه مع الواقع الخارجي، فهو لا يعتمد على اعتقادنا الخاص في كون الشيء صحيحاً أو خاطئاً. والانطباع الموجود فى العضو الحسي وكذا المعلومات التي نحصل عليها من هذا الحس لا ترجع إلى أهوائنا. كذلك الأفكار التي نكونها عن الأشياء الخارجية لا ترجع الينا، لكن لابد من توافر الشروط الملائمة للإدراك لكي تكون هذه الانطباعات صحيحة (Carson 1996,p124-126).

δοξάζειν δ' οὐκ ἐφ' ἡμῖν· ἀνάγκη γὰρ ἢ ψεύδεσθαι ἢ ἀληθεύειν. (de.anima427b21-22)

" لكن ليس في مقدورنا أن نشكل الأفكار (كما يحلو لنا) ، حيث إن من الضروري (أن نفكر) إما بصورة خاطئة أو بصورة صحيحة."

والخلاصة أن انفعالات النفس ليست هي التي تحدد تكوين التعبيرات اللغوية، لأن العلاقة بين التعبيرات اللغوية وانفعالات النفس علاقة عرف أو اتفاق، كما أن العناصر الصوتية المكونة للكلمة ليست هي التي تحدد دلالة الكلمة، حيث إن العلاقة بينهما مرتبطة باتفاق المجتمع اللغوي المستخدم لهذه التعبيرات اللغوية، وبالتالي فكل مجتمع لغوي هو الذي ينتج اللغة الخاصة به، وهو ما يفسر تعدد اللغات .

وعندما أعطي أرسطو تعريفاً للجملة لم يذكر كلمة "العرف أو الاتفاق συνθηκη "، بل وردت هذه الكلمة في سياق آخر، عندما أراد أن يوضح أن الجملة تحمل معني، وأنها ليست أداة طبيعية، ويوضح هذا أن الأصوات تحمل دلالة، ليس من خلال ارتباط طبيعي بالشيء المسمي، بل عن طريق العرف أو الاتفاق (Zirin 1980,p329) (de interpretatione16b27-29) ، وهذا الاتفاق ينتقل من فرد إلي فرد ومن جيل إلي جيل، بما يحافظ على هذا الاتفاق بين المجتمعات ويجعله مستمراً، وكذا بما يحافظ على العلاقة بين اللغة والأشياء التي تعبر عنها. وقد أكد أرسطو أن القوة الدلالية للأسماء هي الحصن ضد الخداع والخطأ، فمن ليست لديه خبرة بقوة الأسماء يكون عرضه للخطأ (sophistical refutations165a6-18) (Long 2011,p101-102).

ويقول أرسطو إن الاسم "صوت تقليدي له دلالة لفظية عن طريق الاصطلاح، ولكن دون الإشارة إلى الزمن"، سواء كان زمناً عاماً أو زمناً محدداً. وهدف أرسطو من استخدام كلمة "له دلالة" هو التمييز بين الأسماء والأصوات التي بلا معني، فأصوات الإنسان لها دلالة وبها حروف، أما أصوات الحيوانات فتحمل دلالة لكن بدون حروف (King 2012,p57). لكن هذا لا يعني إن الأسماء مجرد مجموعة من الحروف، فالحروف m,u,s ليست هي الاسم mus، ومثل هذا الأمر نجده حتى في الأسماء المركبة مثل اسم العلم κάλλιππος، لأن الاسم ليس هو الأجزاء المكون منها، لأنه لا يحمل دلالة بشكل طبيعي، بل بشكل اتفاقي(Noriega-Olmos 2008 ,p185).

Ὄνομα μὲν οὖν ἐστὶ φωνὴ σημαντικὴ κατὰ συνθήκην ἄνευ χρόνου, ἧς μηδὲν μέρος ἐστὶ σημαντικὸν κεχωρισμένον. (De interpretatione16a20-22)

"وبناء علي ذلك فإن الاسم صوت يحمل دلالة من خلال الاتفاق أو العرف بدون (الإشارة) إلي الزمن، بينما لا يحمل أي جزء من أجزائه أي دلالة بمعزل عن (الكل)."

الكلمات إذن ليست نتاج عناصرها كما في المنتجات الطبيعية، فعناصر الكلمة نفسها أو مقاطعها لا تحمل أي دلالة في الكلمة ذاتها، فاختلاف العناصر أو المقاطع في الكلمة يأتي نتيجة الاتفاق لا الطبيعة (Noriega-Olmos 2008,p186) . وبالتالي فليست هناك ضرورة لاستخدام عناصر معينة في الاسم لكي يحمل دلالة، حيث إن استخدام أي عناصر صوتية هو الذي يعطي الدلالة علي الشيء، طالما يوجد اتفاق على استخدام هذه العناصر للدلالة على هذا الشيء. وهذا على خلاف ما ذهب إليه أفلاطون في محاورة "كراتيلوس" من أن عناصر الكلمة هي التي تحدد دلالة الكلمة، مؤكداً أن العلاقة بين الكلمة وعناصرها علاقة ضرورية طبيعية لا اتفاقية. يتضح لنا إذن أن أرسطو لا يقبل تلك النظرية التي تعتبر الأسماء والكلمات مثل المنتجات الطبيعية، وكأن الكلمات بمثابة صورة حية للأشياء التي تدل عليها (Noriega-Olmos 2008,p194) .

ومثلما أعطي أرسطو تعريفاً للاسم، نجده يعرف الفعل بأنه صوت ينقل معني بقيمة الزمن، ولكن لا يوجد جزء من الفعل له معني في حد ذاته، فالفعل دائما هو علامة عما يقال عن شيء آخر، فالأفعال بالنسبة لأرسطو خبر للأسماء:

Ῥῆμα δέ ἐστι τὸ προσσημαῖνον χρόνον, οὗ μέρος οὐδὲν σημαίνει χωρίς· ἔστι δὲ τῶν καθ᾽ ἑτέρου λεγομένων σημεῖον. (De interpretatione16b6-8)

" إن الفعل بمثابة (إعلان) دال عن الزمن، وليس هناك جزء منه يحمل دلالة بشكل منفصل؛ إذ أنه علامة أو إشارة تقال عن شيء آخر."

والجملة (λόγος) معني مكون من وحدات ذات مغزى، إذ يؤكد أرسطو أن الجمل كلها ليست خبرية أو تقريرية ἀποφαντικός، فالصلاة أو التضرع – على سبيل المثال – ليست خبرا (كيندي ٢٠٠٥ص١٨٢-١٨٣) ، وبالتالي فلا ينطبق مبدأ الصواب والخطأ علي جميع الجمل، فى حين أن كل الجمل تحمل دلالة لأنها تعبر عن شيء ما في فكر المستمع والمتحدث (de interpretatione) 16b33ff.(McCutchen 1994,p96).

ἔστι δὲ λόγος ἅπας μὲν σημαντικός, οὐχ ὡς ὄργανον δέ, ἀλλ' ὥσπερ εἴρηται κατὰ συνθήκην· ἀποφαντικὸς δὲ οὐ πᾶς, ἀλλ' ἐν ᾧ τὸ ἀληθεύειν ἢ ψεύδεσθαι ὑπάρχει· οὐκ ἐν ἅπασι δὲ ὑπάρχει, οἷον ἡ εὐχὴ λόγος μέν, ἀλλ' οὔτ' ἀληθὴς οὔτε ψευδής.

(de interpretatione 17a1-6)

" في حين أن كل جملة تحتوي علي معني، لا كأداة لكن كما قلنا عن طريق العرف أو الاتفاق، وبالتالي فليست كل الجمل خبرية أو تقريرية، بل هي جمل (تحتمل) الصواب أو الخطأ؛ فالضراعة أو الابتهال- على سبيل المثال- جملة، بيد أنها لا تشتمل علي الصواب ولا علي الخطأ ."

لكن كيف تكون دلالة الجملة عند أرسطو قائمة على العرف أو الاتفاق ؟ أي كيف يكون تركيب الجملة أو صرفها قائماً علي الاتفاق؟ طالما أن صرف الجملة يخضع لقواعد هي التي ربطت العناصر اللغوية بعضها مع البعض، كما أن دلالة الكلمات هي التي تحدد دلالة الجملة المركبة من هذه الكلمات، فقد أخبرنا أرسطو أن الأسماء تدل على الأفكار البسيطة، في حين أن الجمل تدل على الأفكار المركبة من تلك الأفكار البسيطة

(de interpretatione.16a9-16,24 b1-9). وربما يمثل هذا إدراكاً من أرسطو مفاده أن ترتيب الكلمات في الجملة اليونانية لا يحدد معني الجملة، حيث إن تغيير ترتيب الكلمات في الجملة اليونانية لا يؤثر في معني الجملة. والحق إن الكلمات في الجملة هي التي تحدد معني الجملة، نظراً لأن القواعد اللغوية ذاتها تعتمد على العرف أو الاتفاق بين البشر، ولكن بشكل مختلف عن الاتفاق الخاص بالأسماء والأفعال (Noriega-Olmos 2008,p208,210) . فمن خلال عدد محدد من القواعد اللغوية، يستطيع الفرد أن يعبر عن المفاهيم المختلفة التي لا تحصي . وتركيب الجملة يكون موازياً لتركيب الفكرة المعبر عنها في هذه الجملة، فالفكرة تتضمن مادة وينسب لها خاصية؛ كذلك الجملة تكون مركبة من اسم – فاعل- تنسب له صفة ويربط بينهما بفعل الكون كما في جملة " سقراط (يكون) حكيماً". وعناصر الجملة لا تمثل ارتباطاً طبيعياً مع الأشياء التي تعبر عنها، فالجملة ليست مثل الآلة، فالفكر لا يحدد طبيعة الكلمة أو الجملة وشكلها، على العكس من الآلة التي تحدد وظيفتها الخامة المستخدمة. الجملة إذن وعناصرها– كما أوضحنا سلفاً - تتكون بشكل اتفاقي (Noriega-Olmos 2008,p212) ، وبالتالي فإن المادة الصوتية المكونة للجملة لا تحدد صفات الجملة- من صواب وخطأ- لأن الذي يحدد ذلك الأفكار المعبر عنها في الجملة.

ولم يهتم أرسطو في عمله "عن التفسير" بتفسير كيفية حدوث الاتفاق أو العرف، بل كان اهتمامه منصباً على توضيح أن الجانب الصوتي (أي الحروف) في التعبيرات اللغوية ليس هو الذي يحدد دلالة التعبيرات اللغوية. فلا ينبغي أن نبحث عن الدلالة في المادة الصوتية المكونة للجملة، لأن الدلالة خاضعة للاتفاق، فنحن نستخدم التعبيرات ذاتها التي أسسها السابقون، ونحن مدركون أن الصواب والخطأ ليس من صفات الجمل فقط، بل من صفات الأفكار التي تدل عليها هذه الكلمات أو هذه الجمل (Noriega-Olmos 2008,p213):

ἀλλ' οὐχ ἡ τοῦ ἀνθρώπου συλλαβὴ μία· οὐδὲ γὰρ ἐν τῷ μῦς τὸ υ σημαντικόν, ἀλλὰ φωνή ἐστι νῦν μόνον. ἐν δὲ τοῖς διπλοῖς σημαίνει μέν, ἀλλ' οὐ καθ' αὐτό, ὥς προείρηται. (De interpretatione16b30-34)

لكن مقاطع (كلمة) إنسان لا (معني) لها، كذلك (كلمة) μῦς "فأر" ، حيث إن المقطع "υς" لا يحمل (وحده) دلالة، إذ أنه مجرد صوت، لكنه في الأسماء المركبة يحمل دلالة، لكن ليس في حد ذاته كما سبق أن ذكرنا."

ومما يبعث علي الدهشة أن نجد أرسطو يقول (de anima.420b32-33) "إن كل صوت ملفوظ يحمل دلالة" σημαντικὸς γὰρ δή τις ψόφος ἐστὶν ἡ φωνή)، وعلى النقيض من ذلك نجد أن الحروف والمقاطع في عمله "عن التفسير" لا تحمل دلالة بالرغم من إنها أصوات ملفوظة (Noriega-Olmos 2008,p194) . ولعل السبب في ذلك يرجع إلى أن حديث أرسطو عن الأصوات الملفوظة في عمله "عن النفس" كان على نطاق واسع يشمل صوت الإنسان والحيوان، أما حديثه في عمله "عن التفسير" فكان يمثل حديثاً عن نوع معين من الأصوات، هي: "الأسماء والأفعال والجمل". ومعني هذا أن صوت الإنسان مركب من عناصر - أي من مقاطع وحروف- مرتبطة بالأفكار وبانفعالات النفس، وعلي الرغم من أن هذه العناصر لا تحمل دلالة، فإنه لا يمكن أن نصنفها بوصفها جلبة أو ضوضاء ψόφος- مثل صوت الكحة- لأنها نظمت لكي تشكل أصوات مركبة ذات دلالة، وينبغي أن تصنف بوصفها أصواتاً ملفوظة بسيطة، على الرغم من حقيقة كونها لا تدل على شيء. فما يميز لغة الإنسان هو أنها مدعمة بقدرات عقلية وصوتية يتميز بها الإنسان علي غيره من المخلوقات، فالعقل هو الذي يمد الإنسان بالكثير من الحقائق المعقدة التي يعبر عنها عن طريق اللغة (Noriega-Olmos 2008,p196-198) .

ونلاحظ أن أرسطو قد اعتبر أن أجزاء الأسماء المركبة لا تحمل دلاله بوصفها جزءاً من هذا الاسم - مثل اسم العلم Κάλλιππος* - أي أنها لا تدل على شيء في هذا الاسم، لكنها في ذاتها تدل أو تعبر عن أشياء مختلفة، فالإسم κ α λ ὸ ς يعني "جميل" والاسم ἵ π π ο ς يعني "فرس"، في حين أنهما بوصفهما جزءاً من الاسم المركب Κάλλιππος ليس لهما دلالة في حد ذاتهما، فهما جزءان لاسم علم مركب يحمل دلالة تعني: "الفرس الأصيل". عناصر الاسم إذن ليست هي التي تحدد مدلولاتها (de interpretatione16a21-22)، فكلمة ἵ π π ο ς في اسم العلم Κάλλιππος ليست لها الدلالة ذاتها التي يحملها الاسم فى جملة κ α λ ὸ ς ἵ π π ο ς ، لأن هذا الاسم المركب يدل على فكر واحد فقط مثل الاسم العادي، وهذا الفكر البسيط ليست له أجزاء (King 2012,p61-62) . ويعني هذا أن معني الاسم لا يوجد فى معني أجزاءه، بمعني _____

* في تعليق بويثيوس على عمل أرسطو "عن التفسير" نجده يترجم كلمة Κάλλιππος بالكلمة اللاتينية equiferus بوصفها كلمة مركبة من equus وferus ، لا بوصفها اسماً لشخص كما هو الحال في كلام أرسطو . لذلك فإن تحليله لهذه الكلمة لا يتفق مع تحليل أرسطو لها، حيث نلاحظ أن أرسطو قد اعتبر العنصرين ἵ π π ο ς و κ α λ ό ς لا يحملان دلالة بوصفهما جزءاً من الاسم Κάλλιππος. أنظر Boethius, commentary on de.int.49,59

أنه ليست لأي جزء من أجزاء الاسم دلالة أو معني في حد ذاته بمعزل عن باقي الكلمة (Swiggers 1984,p40) . وبالتالي فإن اسم العلم Κάλλιππος يدل على شيء مختلف عما تدل عليه الكلمتان المستقلتان κ α λ ὸ ς و ἵ π π ο ς ، فضلاً عن أن كلمة Κάλλιππος يمكن أن تطلق علي شخص قبيح الشكل. ولم يعتبر أرسطو الاسم أداة مثلما فعل أفلاطون، بل رأي أنه لابد أن يكون الاسم المستخدم سهل النطق، ذا طول مناسب، ومستخدماً فى التواصل بين أفراد المجتمع الواحد، وأن عناصر الاسم لا تحدد الشيء المسمي(Noriega-Olmos 2008,p187).

Ὄ ν ο μ α μ ὲ ν ο ὖ ν ἐ σ τ ὶ φ ω ν ὴ σ η μ α ν τ ι κ ὴ κ α τ ὰ σ υ ν θ ή κ η ν ἄ ν ε υ χ ρ ό ν ο υ , ἧ ς μ η δ ὲ ν μ έ ρ ο ς ἐ σ τ ὶ σ η μ α ν τ ι κ ὸ ν κ ε χ ω ρ ι σ μ έ ν ο ν · ἐ ν γ ὰ ρ τ ῷ Κ ά λ λ ι π π ο ς τ ὸ ἱ π π ο ς ο ὐ δ ὲ ν κ α θ ' α ὑ τ ὸ σ η μ α ί ν ε ι , ὥ σ π ε ρ ἐ ν τ ῷ λ ό γ ῳ τ ῷ κ α λ ὸ ς ἵ π π ο ς . ο ὐ μ ὴ ν ο ὐ δ ' ὥ σ π ε ρ ἐ ν τ ο ῖ ς ἁ π λ ο ῖ ς ὀ ν ό μ α σ ι ν , ο ὕ τ ω ς ἔ χ ε ι κ α ὶ ἐ ν

τοῖς πεπλεγμένοις· ἐν ἐκείνοις μὲν γὰρ οὐδαμῶς τὸ μέρος σημαντικόν, ἐν δὲ τούτοις βούλεται μέν, ἀλλ' οὐδενὸς κεχωρισμένον, (de interpretatione 16a20-27)

"إن الاسم صوت يحمل دلالة من خلال الاتفاق أو العرف بدون (إشارة) إلي الزمن، في حين لا يحمل أي جزء من أجزائه أي دلالة بمعزل عن (الكل)، حيث إنه في (اسم العلم) كاليبوس Κάλλιππος لا تحمل كلمة هيبوس ἵππος دلالة في حد ذاتها مثلما هو الحال في جملة " الفرس الجميل καλὸς ἵππος. وعلي هذا فإن الأسماء البسيطة ليست علي غرار الأسماء المركبة، ففي الحالة الأولي فإن الجزء لا يحمل دلالة علي الإطلاق، أما في الحالة الثانية فيكون له معني، لكن ليس بوصفه منفصلاً عن (الكل)."

ومن الملاحظ أن أرسطو في هذا المثال قد استخدم اسم علم، ربما لأنه يريد أن يوضح أن هذه الفكرة تنطبق على الأسماء العامة وأسماء العلم دون تفرقة، حيث إن الاسم يعبر عن حامله من خلال حالة عقلية، مثل الاسم العام، وبالتالي فإن القدرة على التواصل بين مستخدمي اللغة الواحدة قائمة على فكرة أنهم يمتلكون الفكر ذاته عن الأشياء المتحدث عنها (Modrak 2000,p44) ، وما ينطبق على الاسم العام ينطبق على اسم العلم.

ويؤكد أرسطو ضرورة أن يدل الرمز على شيء واحد محدد. لأنه في حال التعددية لن نستطيع أن نشير أو نعبر عن الشيء، وبالتالي يستحيل التواصل، فلابد إذن أن يكون المدلول شيئاً واحداً محدداً، فكيف يمكن أن تدل كلمة واحدة على ما هو موجود وما هو غير موجود في آن؛ وكيف يمكن أن تدل كلمة "إنسان" مثلا على الإنسان واللاإنسان في الوقت نفسه؛ إن هذا يعد استخفافاً بالتعبيرات اللغوية، حيث سنجد أن كلمتي"الإنسان" و"اللاإنسان" يحملان المعنى ذاته، بل سنجد أن كل الكلمات لها الدلالات ذاتها، وبالتالي ستكون جميعها مترادفات وليس هناك ما يسمى بالتناقض* (Noriega-Olmos 2008,p83-86). ويعد هذا إدراكاً من أرسطو بأن السمة الضرورية للغة الإنسان هي أن تكون للكلمات والجمل مدلولات مختلفة، والا سيختفي ما يسمى بالمنطق.

اللغة إذن تعد تهذيباً للصوت بواسطة اللسان والشفاة، فاللغة ليست مجرد أصوات تعبر عن الفرح والألم، بل هي ترتيب لفظي διάρθρωσις للحروف من أجل إعطاء المعني (Aygun 2007,p291)،(Zirin 1980,p336). ولكن كيف يمكن أن نصل من الحرف الذي لا يحمل معني إلى اللغة التي تحمل المعني وتعبر عنه ؟ يوضح

أرسطو أن المقاطع تتكون من الحروف الصامتة والحروف الصائتة، ومن المقاطع تتكون الكلمات، أسماءً كانت أو أفعالاً، ومن الكلمات تتكون الجمل الواضحة بشكل متفق أو متعارف عليه، وبالتالي فالأصوات التي تصدرها الحيوانات لا يمكن أن نطلق عليها أسماء لأنها تفتقر إلي الاتفاق (Noriega-Olmos 2008,p293-294) .

والاسم هو وحدة مصطلح عليها تتكون من وحدات(أي حروف) بلا معني، ويمكن أن يتم التعبير عن الشيء الواحد بطرائق متعددة في اللغة ذاتها، بل يمكن أن تعني الأسماء ذاتها أشياء مختلفة، ويرجع هذا إلى أن عدد الأسماء محدود وعدد الأشياء غير محدود. وبالتالي يمكن أن يدل الاسم على عدة أشياء، كما أن بوسعنا أن نكوّن عدداً لا نهائياً من الأسماء من عدد محدود من الحروف عن طريق العرف أو الاتفاق(Aygun 2007,p298-299). وهكذا يفرق أرسطو بين الأسماء وبين صيحات الحيوانات، حيث إن ما يميز هذه عن تلك هو العرف وحده، فالصوت يصبح اسما عندما يحمل دلالة (Berg 2008,p22) ، والدلالة هي العلاقة ما بين الكلمة والمحتوي الدلالي لها، كما أن الدلالة قائمة على علاقة ما بين المحتوي العقلي والشيء (Modrak 2000,p27)، ويشترط أن يكون هناك اتفاق على معني هذا الصوت.

τὸ δὲ κατὰ συνθήκην, ὅτι φύσει τῶν ὀνομάτων οὐδέν ἐστιν, ἀλλ' ὅταν γένηται σύμβολον·ἐπεὶ δηλοῦσί γέ τι καὶ οἱ ἀγράμματοι ψόφοι, οἷον θηρίων, ὧν οὐδέν ἐστιν ὄνομα. de interpretatione.16a26-29

"لا يوجد شيء من الأسماء بالطبيعة، بل عن طريق العرف أو الاتفاق، وذلك عندما يغدو رمزاً (أي دلالة)؛ فالضوضاء غير الواضحة كحروف تدل على شيء مماثل (لما تصدر عن) الحيوانات، لكن لا شيء منها يكون اسماً ."

---

*أنظر metaphysics 1007b18-23

وماذا إذن عن الكلمات التي لا تدل على شيء مادي ملموس في الواقع مثل "اللاإنسان" οὐκ ἄνθρωπος و"الماعز-الأيل* " τραγέλαφος ، وهي كلمات توضح قدرة العقل على خلق أفكار عن هذه الكائنات؛ إن القدرة المعرفية لدى الإنسان تمكنه من تمييز الأشياء المختلفة وفهمها وربطها معا، من أجل انتاج أفكار جديدة عن كائنات غير موجودة مثل "الماعز-الأيل"، بل إنها تتيح له تصنيفها ضمن فصيلة من الحيوانات. فالإنسان يستطيع إدراك كينونة "الماعز" و"الأيل" كل علي حدة من خلال قدراته العقلية، إذ أنه من خلال الأفكار يمكن أن نشكل المفهوم، وبالتالي يوجد لدي الإنسان تعبير لغوي عن كائن آخر مختلف عن "الماعز" وعن "الأيل" في آن ، هو "الماعز-الأيل"، الذي هو بالفعل كائن ليس له

مثيل في الواقع الخارجي. ويكمن الخطأ في محاولة الربط بين هذا التعبير اللفظي وبين شيء موجود بالفعل في الواقع، حيث إن إنكار ما يتعلق بالماعز-الأيل سيبقى صحيحاً دائماً، حيث إن الإنكار بالنسبة لأرسطو بمثابة تأكيد على أن شيئاً ما غير موجود (Carson 2003,p334-335) . وعلي الرغم من أن كلمة "ماعز-أيل" لا تعبر عن كائن موجود بالفعل في العالم، فهي تحمل دلالة على شيء، مثلما أن كلمة "اللاإنسان" تدل على شيء علي الرغم من أن هذا الشيء غير محدد (Noriega-Olmos 2008,p91).

τὸ γὰρ οὐκ ἄνθρωπος ὄνομα μὲν οὐ λέγω ἀλλὰ ἀόριστον ὄνομα, ἓν γάρ πως σημαίνει ἀόριστον, (de interpretatione19b8-10)

" حيث إن "اللا إنسان" ليس اسماً، غير أني أدعوه اسماً غير محدد، حيث إنه يدل علي شيء واحد لا سواه . "

والشئ الواحد لا يمكن أن يوصف بصفة ونقيض الصفة في الوقت ذاته، فالإنسان لا يمكن أن يوصف بكونه أبيض وغير أبيضٍ في الوقت نفسه، فإما أن يكون أبيض أوغير أبيض. وبالتالي يمكن أن نقول إن تعبيرات مثل"ماعز-أيل و "اللاإنسان" تحمل معني بغير مدلول واقعي محدد، لأنه من غير الممكن أن يحمل كائن واحد هذه الطبيعة المركبة. ولعل السبب في أن أرسطو لا يعتبر مصطلحات مثل "الماعز-الأيل و" اللاإنسان" أسماء، هو أنها لا تدل على شيء محدد فى الواقع (Schreiber 2003,p15-16). الماعز-الأيل إذن كائن غير موجود في الواقع، لكن التركيب اللغوي للتعريف يعطي تعريفاً لهذا الشيء كما لو كان موجوداً. وهذا الشيء

*الماعز-الأيل: كلمة مكونة من لفظين τράγος (عنز) + ἔλαφος (ظبي، أيل) . وهي بهذا كلمة تشير إلي كائن غير موجود علي شكل أيل وماعز في الوقت نفسه.

الدال علي هذا الكائن غير الموجود من خلق اللغة فقط، ويعرف هذا "بالتعريف الإسمى"(Posterior Analytics ii 8-10) للشيء، وهو عبارة عن تركيبات لغوية وصفات تعطيها اللغة للشيء. ويصدق هذا بالمثل علي كلمة "اللاإنسان" ، فهي عن كل شيء غير الإنسان، وهذا هو ما يجعل أرسطو يعتبر أن "اللاإنسان" اسم غير محدد، لأنه لا يدل علي شيء واحد، فنحن لغويا لدينا شيء اسمه "اللاإنسان"، كما لو كان مادة موجودة مثل الإنسان. ومثل هذا التعريف يعبر عن الشيء عن طريق الاتفاق أو العرف بناء على أفكار الفرد عن هذا الشيء ويشير إليه، غير أنه لا يثبت وجوده.

ويمكن أن نقول إن " التعريف الإسمي" هو التعريف بالشيء الذي لا يمكن الاستدلال عليه من خلال الاستنتاجات المنطقية، مثل الرعد الذي نستدل عليه عند حدوث أصوات في السماء. لكن ماذا عن تعريف المعاملات الرياضية؟ في هذه الحالة نعتمد فى التعريف علي اللغة فقط (Demoss ,D and Devereux, D1988,p136-137).

Ὁρισμὸς δ' ἐπειδὴ λέγεται εἶναι λόγος τοῦ τί ἐστι, φανερὸν ὅτι ὁ μέν τις ἔσται Λόγος τοῦ τί σημαίνει τὸ ὄνομα ἢ λόγος ἕτερος ὀνοματώδης, οἷον τί σημαίνει [τί ἐστι] τρίγωνον. ὅπερ ἔχοντες ὅτι ἔστι, ζητοῦμεν διὰ τί ἔστιν χαλεπὸν δ' οὕτως ἐστὶ λαβεῖν ἃ μὴ ἴσμεν ὅτι ἔστιν. ἡ δ' αἰτία εἴρηται πρότερον τῆς χαλεπότητος, ὅτι οὐδ' εἰ ἔστιν ἢ μὴ ἴσμεν, (Posterior Analytics 93b29-34)

طالما قيل إن التعريف هو القول (الجامع) عن كينونة الشيء، فمن الواضح أن أحد (التعريفات) سيكون القول الذي يوضح دلالة الاسم أو القول الآخر المشابه للاسم ، مثلما هو الحال في الحديث عن دلالة كينونة المثلث ، فحينها ندرك أنه موجود، ونبحث عن سبب وجوده، لكن من الصعب إدراك تعريف الأشياء التي لا نعرف كينونتها، والسبب الذي قيل قبلاً عن هذه الصعوبة، هو أننا لا نعرف وجود الشيء أو عدم وجوده ."

وهكذا فليس بوسعنا أن نطلق علي"اللاإنسان" لفظة "اسم" لأن الاسم صوت دال، أما هذه الكلمة فلا تحمل دلالة مثل تلك التي تحملها كلمة "إنسان" أو كلمة "فرس"، فهي كلمة مسبوقة لغوياً بأداة نفي، كما أننا أيضاً لا يمكن أن نعتبرها جملة لأنها ليست مركبة من اسم وفعل. إذن فليس أمامنا سوي أن نقول علي الرغم من كون "اللا إنسان" اسماً غير محدد، فهو يعبر عن شيء محدد، حيث إن عدم محدوديته مقتصرة على غياب شيء ما؛ فكلمة "اللاإنسان" تعبر عن غياب صفة الإنسانية، أي كل الأشياء الأخرى التي ليست إنساناً، مثل الجبال والخيول الخ. وينبغي أن يكون لدينا تصور أن كلمة "اللاإنسان" نتيجة عملية لغوية، أي معاملة شيء غير محدد كما لو كان محدداً (Noriega-Olmos 2008,p97-100) . ويصدق الأمر ذاته علي كلمة "الماعز-الأيل" التي لا يمكن أن نطلق صفة ما عليها، لأنها تشير إلي كائن غير موجود بالفعل (De interpretatione.19b6-9).

τὸ δ' οὐκ ἄνθρωπος οὐκ ὄνομα· οὐ μὴν οὐδὲ κεῖται ὄνομα ὅτι δεῖ καλεῖν αὐτό,– οὔτε γὰρ λόγος οὔτε ἀποφάσις ἐστιν·– ἀλλ' ἔστω ὄνομα ἀόριστον ὅτι ὁμοίως ἐφ' ὁτουοῦν ὑπάρχει καὶ ὄντος καὶ μὴ ὄντος.(de interpretatione16a30-34)

إن "اللاإنسان" ليس اسماً، حيث إنه لا يوجد هناك اسم ينبغي أن يسمي بهذه التسمية، كما أنه ليس جملة ولا نفياً، بل نفترض أنه إسم غير محدد، حيث إنه يطلق علي ما هو موجود وما ليس له وجود سواء بسواء."

ويعطي كيبير Cuypere تفسيراً لكلمة "الماعز- الأيل" موضحا أنه يمكن وجود محتوي عقلي لشيء غير موجود، فيقول إن "الماعز-الأيل" فكرة مركبة من معني اسمين بسيطين، هما اسم "الماعز" واسم "الأيل"؛ وهكذا فإن معني "الماعز-الأيل" هو معني مركب يعتمد على معني الماعز ومعني الأيل في آن، وهما اسمان يشيران بالفعل إلى شيئين موجودين في الواقع. وطالما أن المعنيين كليهما يعتمدان على التشابه، فإن المعني المركب لكلمة "الماعز-الأيل" يكون أيضا نتيجة التشابه مع انفعالات النفس. وهذا هو المنطق المقترح لكلمات ليس لها مدلول لكن لها معني، على أساس أن كل المعاني تعتمد على علاقة تشابه مع الواقع، سواء كان للكلمة مدلول فعلى أم لا(Cuypere and Willems 2008,p316). وتقول مودرك إنه لا يمكن أن نعتبر هذا المصطلح كلمة واحدة، لأنه لا يشير أو يدل علي شيء، فهو لا يعبر عن جوهر واحد حقيقي، بل يعبر عن جوهرين معاً (Modrak 2000,p25).

ويمكن أن نلخص النظرية القائمة علي مبدأ العرف أو الاتفاق συνθηκη في اللغة عند أرسطو علي النحو التالي : - العلامات المدونة هي رموز للأصوات التي يتم التحدث بها .
- الأصوات التي يتم التحدث بها هي رموز لانفعالات النفس. وانفعالات النفس تشبه الأشياء الحقيقية، فهي مثل قالب الشمع يأخذ شكل الحلقة وليس مادة الحلقة ذاتها (de.anima424a17-20) ، ويصبح شبيهاً بالحلقة لأنه تأثر بها؛ فما يدركه الإنسان هو السمات الحسية للشيء. وقد أوضح أرسطو أن من هذه السمات ما يدرك بحس واحد ومنها ما يدرك بأكثر من حس، وهذا ما يعرف بالحس المشترك .
(Aristotle,de anima 418a11-19) (Bynum 1987,p165-166) . وهذه السمات هي: - العلامات المدونة ليست هي ذاتها عند كل البشر.
- الأصوات التي يتم التحدث بها ليست هي ذاتها عند كل البشر.
- انفعالات النفس هي ذاتها عند كل البشر.

- الأشياء الحقيقية الواقعية هي ذاتها عند كل البشر(Berg 2008,p20).
ويقول كينج إن الأصوات المنطوقة تدل فى المقام الأول على انفعالات النفس، وفى المقام الثاني على الأشياء الموجودة ذاتها(King 2012,p125).

إن اللغة والتفكير مرتبطان ارتباطا وثيقاً، علي اعتبار أن اللغة هي الوعاء أو المظهر الخارجي الذي يتم تقديم الفكر من خلاله، فنحن لا نستطيع بوصفنا بشراً أن نفكر في شيء لا تسمح به كفاءتنا اللغوية، كما أننا لا نستطيع أن نتكلم عن شيء لا نستطيع التفكير فيه، فنحن محكومون إلى مدي معين في أفكارنا وأفعالنا باللغة التي نعرفها، وبالتالي فإن ألفاظ اللغة تعبر عن الأفكار المناظرة لها في عقل الإنسان وتدل عليها.

ولا تعد لغة الإنسان مجرد تعبيرعن صور فكرية، فمثلما يستخدم الإنسان اللغة في التعبير عن الأشياء الملموسة، يستخدمها كذلك في التعبير عن الأشياء المجردة، فضلاً عن أن اللغة تستخدم في التعبير عن أشياء وأحداث بعيدة عن المتكلم زمانا ومكانا . فاللغة هي مرآة الفكر، وهي وسيلة التعبير عن الأفكار عن طريق الصوت، أو عن طريق نظام من الرموز يستخدمها الفرد باختياره؛ وهدفها هو نقل أفكار الفرد إلى الآخرين ونقل المعلومات والخبرات إلى الأجيال المتعاقبة. ويقوم هذا النشاط المتواصل على ثلاثة عناصر رئيسة: ١-المتحدث أو المرسل ٢- مستمع أو مستقبل ٣– نظام إشارات أو لغة مشتركة يتكلمها المرسل والمستقبل. وهذا النظام الإشاري له محتوي يرمز إليه، ويتم فيه التواصل لأن المتكلم يرسل رسالة باستخدام القواعد اللغوية ذاتها التي يستخدمها المستمع حتى يتمكن الأخير من فهمها، حيث يقوم المستقبل بترجمة الكلمات إلى أفكار.

قائمة المصادر والمراجع

Aristotle, de Interpretatione, L.C.L,1955.

Idem, de Anima , L.C.L,1957.

Idem, Posterior Analytics , L.C.L, 1960.

جورج كيندي ٢٠٠٥ : موسوعة كمبريدج في النقد الأدبي ، الجزء الأول (النقد الأدبي الكلاسيكي) مراجعة وإشراف أحمد عتمان، المجلس الأعلى للثقافة .

نشوي جمعة ضيف الله ٢٠٠٩، فن الشعر لأرسطو بين ابن رشد وهيرمانوس الجرماني ، دراسة تقابلية . رسالة دكتوراة ،أشراف د. أحمد عتمان . جامعة القاهرة .

Aygun, O. O. (2007). The Included Middle: "Logos" in Aristotle's Philosophy, United States, The Pennsylvania State University. Ph.D.

Berg, R. M. (2008). Proclus' Commentary on the Cratylus in Context : Ancient Theories of Language and Naming, Leiden, Brill.

Berns, L. (1976). "Rational Animal-Political Animal: Nature and Convention in Human Speech and Politics" , The Review of Politics 38(2): 177-189.

Carson, D. S. (1996). Being and Truth: Elements of Aristotle's Philosophy of Language, United States – North Carolina, Duke University. Ph.D.

Carson, S. (2003). "Aristotle on Meaning and Reference" , History of Philosophy Quarterly 20(4): 319-337.

caston, v. (2009). Phantasia and Thought, a Companion to Aristotle G. Anagnostopoulos, wiley blackwell.

Cuypere, L. and K. Willems (2008). "Meaning and Reference in Aristotle's Concept of the Linguistic Sign" , Foundations of Science 13(3/4): 307-324.

Demoss , D and Devereux, D(1988). " Essence , Existence, and Nominal Definition in Aristotle's "Posterior Analytics" II 8-10 ", Phronesis, Vol. 33, No. 2, pp. 133-154

Formigari,L. (2004).A History of Language Philosophies , John Benjamins Publishing Company.

Joseph, J. E. (2000). Limiting the Arbitrary : Linguistic Naturalism and its Opposites in Plato's Cratylus and Modern Theories of Language, Amsterdam, Benjamins.

King, R. C. (2012). Semantics and Mental Representation in Aristotle's "Peri Hermeneias", United States - New York, University of Rochester. Ph.D.

Lesetar, P. (1998). Signs: Language in Semiotics, Canada, University of Alberta (Canada). Ph.D.

Lewis, F. A. (2011). "'Predication, Things, and Kinds in Aristotle's Metaphysics'" , Phronesis 56(4): 350-387.

Long, C. P. (2011). Aristotle on the Nature of Truth, Cambridge University Press.

McCutchen, B. D. (1994). A Rhetorico-Semiotic Inquiry into Ancient Greek Sophistic and Philosophic Discourses: Gorgianic and Aristotelian Theories of Language, United States -New York, Rensselaer Polytechnic Institute. Ph.D.

Modrak,D (2000.). Aristotle Theory of Language and Meaning, Cambridge University Press

Noriega-Olmos, S. (2008). Language, Thought, and Reality in Aristotle's "De Interpretatione" and "De Anima", United States -- New Jersey, Princeton University. Ph.D.

O'Callaghan, J. P. (1997). "The Problem of Language and Mental Representation in Aristotle and St. Thomas", The Review of Metaphysics 50(3): 499-545.

Polansky, R. and M. Kuczewski (1990). "Speech and Thought, Symbol and Likeness: Aristotle's "De Interpretatione" 16a3-9" , Apeiron: A Journal for Ancient Philosophy and Science 23(1): 51-63.

Roochnick, d. (1990). "Homeric Speech Acts :Word and Deed in the Epics" , the Classical Journal 85(4): 289-299.

Schreiber, S. G. (2003). Aristotle on False Reasoning : Language and the World in the Sophistical Refutations, Albany, State University of New York Press.

Swiggers, P. (1984). "Cognitive Aspects of Aristotle's Theory of Metaphor" , Glotta 62(1/2): 40-45.

Walz, M. D. (2006). "The Opening of "On Interpretation": Toward a More Literal Reading" , Phronesis 51(3): 230-251.

Zirin, R. A. (1980). "Aristotle's Biology of Language" , American Philological Association (110) 325-347.